مُثقَّف بدرجة «طـبـل»!!

■ عبارة مسافرة بصخب جمرها..
عبارة متوحشة في وقعها..
ما زالت تنهش ذاكرتي بصداها منذ أن سمعتها تلعلع من فم أحد البسطاء في موقف عابر :
– «فين المثقفين.. أين دورهم في المجتمع .. أين هم راقدين»؟!
ووجدتني كمن يستيقظ من نعاس ثقيل أطلق صوتي بنبرة مستغربة ومتسائلة :
– (أيوه) صح!!
أين دور المثقف اليمني..؟ أين المثقفون..؟!
وأبحرت فوق أمواج تساؤلاتي لعلي أعثر على شواطئ الاجابة..
ويبدو أني كنت أفكر بصوت عال لأن أحد الزملاء الطيبين اعترض إبحاري مع ذاتي.. بنظرة ساخرة قائلاً لي :
– «جالس أنت والبعسسة..!!
أيش من مثقفين وايش من سليط.. قم ابحث لك عن لقمة خبز تشبع بها بطنك..
قال لك مدري ايش كان امس.. مساء الخير» وأطلق خوار ضحكاته..!!
■ عبارات مُرّة.. وقاتمة وطاغية تذرف الألم والأسى..
ولكنها الحقيقة..!!
■ تبتعد عن تلك التعريفات السقيمة والمصطلحات الأكاديمية المتلئة بالخواء والصقيع، وتدلف إلى أزقة ذاكرتك لتلتقط وتستعرض مشاهد بفعالية المثقف وتجس نبض ذلك الدور الهام.. وكيف كان وأين أصبح..و... و...الخ.
وتتوالى الصور والمشاهد على شاشة الذاكرة.
■ في ماضي الوطن القريب والمظلم.. كان المثقفون – رغم قلتهم– شموع الأمل التي أضاءت محيطه المحاصر بشتى الدياجير.
وهم من قادوا سفينة الوعي في لجج بحور الجهل والتخلف والقهر..!
كانوا، في كل وقت، زيت المصباح في دروب شعبهم العابر نحو الفجر.. وكانوا في طليعة من أشعلوا فتيل الإرادة الحرة وقادوا دفة الحياة الجديدة.
وكانوا في الخنادق الأمامية للثورة يُسيِّجون حلمهم وفجرهم بأجسادهم وأرواحهم ويشعلون عقولهم قناديل تبدد إرث التخلف والجهل المتقوقع بين صفوف ابناء المجتمع..و..!
■ ولكن.. رغم تقلبات الظروف التي هبّتْ وضيق بعض الفترات من «شغب» المثقفين، وتوجسها ورعبها من أدوارهم المضيئة المتغلغلة في مفاصل المجتمع وتجذرها في ايقاع حياته، ورغم مراحل ومسلسلات القمع والاضطهاد والكبت والسجون وتكميم الأفواه ومطاردة الأفكار ومحاصرة الرؤى وخنق وسائل التعبير..
إلاّ أن دور المثقفين كان موجوداً وفاعلاً ومثمراً ومتدفقاً كنهر..
كان صوتهم مميزاً وواضحاً، وعطاؤهم بارزاً لكل ذي عينين .. حتى في أحلك الظروف وأصعبها وأخطرها..!!

محمد القعود

■ لا أقول كل ذلك من باب «الانشاء» التعبيري أو «الخرط» ولكن من وقائع وأحداث وحقائق تتوهج بها ذاكرة المجتمع..
ونعرف ماذا قدم المثقفون قبل الثورة وبعدها مروراً بالستينيات والسبعينيات وحتى تحقيق الوحدة، التي ظلت – بعد قيام الثورة ورسوخها – هدفهم الأسمى وحلمهم الأكبر وغدهم السائرون إلى فجره.
ونعرف ماذا لاقوا وعانوا في سبيل ذلك وفي أداء دورهم الناصع في العقود الزمنية السابقة.
■ نعرف أن كلمة «مثقف» كانت بمثابة تهمة خطيرة تطارد كل من «يفكر» و«يناقش» و«يتأمل» واقع وطنه وهمومه وقضاياه وطموحاته..
ومن كان يحمل أيّ كتاب خارج «المقرر» الرسمي، فقد كان ينظر إليه بعيون الريبة ويوصف على أنه «حزبي» يحاول نشر أمراضه «الثقافية»!!
وكم من الضحايا الذين وجدوا أنفسهم بين «صفحة وأخرى» وقد أمسوا في بطون الأقبية بتهمة ترويج أفكار تتسرب منها أضواء الوعي.. الخ.
■ أي معاناة كبيرة ومسئولية جسيمة كانت ملقاة على عاتق المثقف اليمني قبل وحدة الوطن..!!
حقاً.. إنها صورة مبهجة، رغم ما أحاطها من آلام ومواجع.. ولكنها تظل على الدوام رائعة..
■ ومع توحد الوطن امتلأت أشرعة الحياة برياح الديمقراطية وظهور التعددية السياسية، وتناسل الأحزاب.. عبقت «العقول» و«الحناجر» بالآراء والرؤى، والأطروحات المختلفة المشارب والاتجاهات، وتعددت رقعة الإصدارات والمنابر الديمقراطية، التي اتسمت جميعها بصبغة سياسية، حتى تلك التجمعات التي اطلت من خانة المهن، أو خرجت من زاوية «الشفقة» للدفاع عن مرضى «الحراف» وحماية «الطبيخ» من أضرار «الصلصة» المستوردة.. الخ.
فهي لم تسلم من «لطخات» ألوان الطيف السياسي..!!
■ وفي خضم تلك المشاهد «الفسيفسائية» افتقدنا الفعل الثقافي، صوته وحضوره، ودوره..
مما جعل صخرة الأسئلة تتدحرج من قمة الحيرة، لتنثر صخبها في وجه ذلك الغياب :
– أين ذهب المثقفون..؟ وفي أيِّ «لوكندة» نام دورهم..؟
ولماذا صاروا في حالة «فرار» دائم من ساحة معتركهم الجديد..؟!
■ تتلفت حولك بذعر «رهيب.. والله».. فلا تجد غير صدى الأسئلة تتساقط ثكلى في قبضة الصمت..؟!
■ تجد المثقفين اليوم، غير المثقفين في الأمس..!!
لقد تغيّروا «!!» وتغيّرت أدوارهم و«جلودهم» و«تلونوا» حسب مقتضيات «المهمة» وانتهجوا «أزقة» ضبابية وافتتحوا «دكاكين» تُروِّج بضاعة الأحزاب والسياسة الفاسدة والقميئة والتحقوا بـ«مقايل» ودواوين باذخة الترف، تمنح «خبرة» عريقة و«معارف» فاعلة وثقافة شاملة في شئون «الهبر» والمزايدات المربحة، وتسويق «المواقف» التي ترتدي أثواب الهموم الوطنية..!!
■ هناك المثقف الذي صار كـ«الطبل» الأجوف، والبوق الناعق الذي «يتدوشن» ويردد ما يملأ عليه من «حزبه» أو تنظيمه السياسي حتى وإن تنافى ذلك مع مبادئه وقناعاته وواقعه – ان لم يطلقها بالثلاث أو تغسل من مخه– .
■ وهناك المثقف الذي أصبح مُدجّناً، ومُهجّناً وقابلاً «للتأجير» و«البلطجة» وتزييف «الوعي» وشقلبة الحقائق..!!
وأيضاً هناك المثقف الذي بات يجيد الرقص «السياسي» و«العشائري» والمصلحي، بمختلف أنواع الحركات والايقاعات ابتداء من رقصة «التقدمية» وآخر صرعات هز «الوسط» وكل ذلك حسب الطلب وحسب التوجيه والـ«ألوه»!!
■ بينما هناك قضايا كثيرة منبثقة ومرتبطة بنبض هذا الوطن ومواطنيه، وهموم الواقع وطموحات الغد، لا تجد لها أيّ صدى في «قعر» ووجدان تلك الفصائل أو «الفسائل» المثقفة، التي انكفأت و«اقعت» على ذاتها وأنانيتها، وتسورت خلف سياج مصالحها، ونسفت جسور التواصل بينها وبين محيطها وتخندقت خلف شعار الأنانية الفج و«أنا مالي»!!
■ أما من لم يتنصلوا من دورهم البهي، ولم تستطع رياح الردة أن تطمر أعماقهم بوحل الأنانية أو أن تطفئ جذوة إصرارهم في حمل مشاعل الوعي..
فهم قلة قليلة، وفصيلة نادرة من فرسان الثقافة، فرسان بكل معنى، ونبل.. يحملون أدوارهم وهمومهم ويكتوون بجمر واقعهم، ويقارعون كل تعب من اجل اشراقة مدهشة تضيء طريق مجتمعهم وهو يواصل سيره إلى غد أجمل..
هؤلاء الباقة الجميلة من المثقفين الأصلاء، ممن لم يتحولوا إلى سماسرة «ضمير» ومحترفي «دجل» ومقاولي «ضجيج» ومروجي «هلس» وثرثرة رمادية.
ما زالوا بكل صدق وتضحية يواصلون انهمارهم واشتعالاتهم، غير مبالين بكل الظروف التي تحاول أن تجرفهم بعيداً عن مسارهم الذي اختاروه..
وأيضاً هناك مثقفون لم يتحملوا أن يروا تلك الحالة «الفنتازية» للثقافة والمثقف ودوره، فاختاروا تحت ضغوط الأسى أن يلجأوا إلى الصمت..!!
■ وبعد..!!
هل يعود المثقفون إلى مصافحة نبض مجتمعهم ويزيلون ذلك الغبار الذي تراكم على صورة المثقف ودوره..؟!
أم يستمرئون موائد الأحزاب و«نفحات» السياسة..؟!
■ هل قلت شيئاً..؟!
– ربما..!

2003م

متابعات

التجديد في الفكر الإسلامي الحديث

الرياض/ محمد المقرمي

■ أوضح الدكتور عزالدين موسى، عميد كلية العلوم الإستراتيجية في جامعة الأمير نايف الأمنية، أنّ المعارضين للأنظمة على مرّ التاريخ غالبًا ما يتغنّون في نضالهم باسم الحريةَ والديمقراطية والتجديد، وسرعان ما ينقلبوا عليها فور وصولهم إلى السلطة، وأنّ عددًا من الثورات الشعبية غالبًا ما تنتهي بحكم استبدادي، مشيرًا إلى أنّ الأنظمة لا تتغيّر إلا بتغيّر الفرد والمجتمع ذاتيًا مُستشهدًا بقوله تعالى: (إن الله لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). ورد ذلك بعد أن تحدّث عَن التجديد في الفكر الذي صنّفَه إلى تيارات ومسارات، موضحًا أنّ التداخل بين التيارات أمرٌ واردٌ وربما تتعدّد المسارات في التيار الواحد، وشرح أنّ التجديد في الفكر يعتمد على ثلاث سمات هي: الاستمرارية، والشمولية، وسبق الفكر للعمل. جاء ذلك في محاضرة قدّمها في خميسية حمد الجاسر بعنوان «الفكر الإسلامي الحديث» في يوم الخميس الماضي، وقد أدار المحاضرة سعادة الدكتور سرحان العتيبي.
وقد سلط الضوء في هذه المحاضرة، على تطورات الفكر السياسي في الربيع العربي وتحدّث عن إشكالية الأصالة والمعاصرة وظاهرة الانكفاء، مشيرًا إلى أنّ خير مثال على ذلك نظرتنا إلى قيمة الحرية، مؤكدًا أنّ هناك إشكاليات كثيرة أفرزتها الحضارات الغربية تتمثل في جدليّة المحافظة والتجديد، ولعلّ أبرزها إشكالية «الهويّة الوطنيّة» وقضايا مثل: «الحريّة»، و«نحن والآخر»، و«الديمقراطية».
ثم صنّف جدليّات التجديد في الفكر إلى تيارات أربعة، أولها: التحديث الذي نشأ بعد مواجهة الغرب العسكرية، وتجلى هذا المسار بوضوح بعد هزيمة العثمانيين وحملة نابليون على مصر، إذ ظهر هذا التيار لاكتساب المنعة مع المحافظة على الهوية والتوجهات المنبوذة في عصرهم. كما ظهر التيار الثاني في الحركات التجديدية ببواعثها الداخلية سعيًا لتجديد العقيدة فكرًا وممارسة، كما حصل في القرن التاسع عشر، وجاء التيار الثالث متمثلاً بتيار التجديد مع المحافظة، وهذا التيار ظهر بريادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. أما التيار الرابع فتمثّل في حركات إسلامية منظمة ومتعددة الألوان تحاول نقل الفكر إلى العمل، وقد أفرزت هذه التطورات بفعل عوامل داخلية وخارجية تأثيرات عظيمة، وخير مثل يضرب في هذا هو حركة الإخوان المسلمين، وتكاد تكون جبهة الإنقاذ في السودان أول حركة، تنتمي إلى هذا التيار، وصلت إلى السلطة بعد أن سيطرت على النقابات وتدرّجَت في سلم الصعود إلى السلطة.
واختتم محاضرته بتساؤلات طرحها للنقاش مع الحضور عن مدى اعتزام الإسلاميين مواصلة السير في سبيل الديمقراطية، وفي سعيهم إلى الوسطية ليتعايشوا مع من حولهم من الحركات؟ موضحًا أن الحركة الإسلامية في تركيا نجحت عندما حاولت التعايش مع العلمانية، وإذا كان تطرف الإخوان السابق ناجمًا عن الضغط الذي تلقّوه من الأنظمة، فهل يستطيعون اليوم مواصلة الديمقراطية، والتعايش مع من حولهم من التيارات المختلفة؟ وعن مدى إمكانية التعامل مع الخارج؟.
ثم توقف المحاضر عند تعليق الدكتور مرزوق بن تنباك الذي أشاد بإيجابية الربيع العربي لأنها ثورة شعب لا يتزعمها فرد ممّا يمنع الاستبداد ودكتاتورية الفرد، وأنها قد تنتهي إلى الديمقراطية، موضحًا أن الديمقراطية من أفضل أنظمة الحكم الموجودة، جاء هذا التعليق ردًا على الدكتور عبدالحميد سليمان الذي أكد أن الشورى هي أفضل الأنظمة معللاً الديمقراطية بتابعيتها للرغبات الفردية والمصالح الذاتية بينما الشورى تُلزم الفرد فيما تقتضي به مصلحة المجتمع.
وأشار المحاضر في تعقيبه على المداخلة السابقة بأن الشورى هي قيمة وليست آلية، وهذه القيمة مفتوحة لما يصلح من آليات تراعي التغير في الزمان والمكان، وليس ثمة مشاحّة في مصطلح ديموقراطية أو شورى ما دام أنها تحقق العدالة والحرية وتقوم على الأسس الصحيحة، وليس بالضرورة استنساخًا لديمقراطية الغرب بل يمكن الاستفادة منها. وحفلت المحاضرة بمداخلات وأسئلة كثيرة كانت فاتحة للموسم الثقافي في للفصل الدراسي الثاني.

جرجي زيدان.. قرن ونصف من التنوير

■ القاهرة – احتفى معرض «القاهرة الدولي للكتاب» بمرور 150 عاماً على ميلاد الكاتب العربي جرجي زيدان الذي كان اول من نبه من «الخطر الصهيوني» على ارض فلسطين قبل صدور وعد بلفور.
واقيمت الاحتفالية في إطار ندوة خصصت له تحت عنوان «150 عاما على ميلاد جرجي زيدان.. قرن ونصف من التنوير».
تحدث مدير الندوة، ورئيس مجلس ادارة دار «الهلال» التي اسسها زيدان عام 1892، الكاتب والمؤرخ حلمي النمنم لافتاً إلى أن «جرجي زيدان كان أول من حذر من خطر الحركة الصهيونية على أرض فلسطين في كتابه «رحلة الى فلسطين»، حيث زار كل المستوطنات وكتب حلقات عدة في «الهلال» أشار خلالها إلى ان فلسطين ستضيع اذا استمرت الحال على ما هي عليه».
اضاف النمنم «لعل ما حدث بعد ذلك من صدور وعد بلفور وضياع جزء كبير من فلسطين عام 1948 وما تلاه من مآس فلسطينية، تجعل ما قاله جرجي زيدان نبوءة تحققت».
وتطرق النمنم في كلمته الى سيرة حياة زيدان قائلاً انه «احد الاعمدة المستنيرة في الثقافة العربية. فقد قصد مصر لدراسة الطب وهو لا يملك المال. لكنه عمل في الصحافة واسس مجلة «الهلال» ولعب دوراً مهماً كمؤرخ للتراث الاسلامي والعربي. ومن بين أبرز كتبه في هذا المجال «تاريخ التحدث الاسلامي».
وتابع النمنم أن ذلك يأتي إلى جانب «مشروعه الضخم في كتابة التاريخ الاسلامي على شكل روائي في 21 مؤلفاً. وكنا في دار «الهلال» قد اصدرنا رواية «الحجاج بن يوسف الثقفي»، احتفالاً بذكرى ميلاده الـ 150، الا انها نفذت فور صدورها».
واوضح النمنم ان «كتاب زيدان «تاريخ مصر في العصر العثماني» وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات كان يلقيها لطلبة كلية الآداب عند افتتاح الجامعة المصرية، يعتبر اضافة مهمة في المكتبة العربية. لكن طيور الظلام في تلك الفترة هاجموا تدريسه للتاريخ الاسلامي في حين أنه مسيحي، ما أدى فى النهاية الى غلبة المتعصبين الاسلاميين واعتذار جرجي زيدان عن إلقاء هذه المحاضرات. في المقابل لم يعارضوا تدريس المستشرقين في الجامعة».
من جانبه اعتبر رئيس تحرير مجلة الهلال عادل عبد الصمد ان «زيدان جسد روح الثورة من خلال مجلة «الهلال» التي صدرت عام 1892 لتشق الطريق امام مشروع ثقافي مهم. فقدم من خلال المجلة عدداً كبيراً من الترجمات الاجنبية والعربية ودعى إلى الحفاظ على الثقافة الشرقية، مع الاخذ بعين الاعتبار كل ما هو حديث ومفيد».
واوضح عبد الصمد ان «جرجي زيدان كان من ابرز المدافعين عن حرية الصحافة وكذلك عن تحرر المرأة، فسبق في ذلك محرر المرأة المصري قاسم امين. وعلى الرغم من انه توفي وهو لم يبلغ بعد الخمسين من عمره، الا انه قدم اعمالاً جليلة استكملها من بعده أبنائه اميل وشكري. فصدرت «الكواكب» ومجلة «سمير» للأطفال، و«المصور» وكتاب «الهلال» ورواية «الهلال»».

كشمعةٍ تَـتـمَشَّى في ساحاتِ النار

عبدالمجيد التركي

أبدو كشمعةٍ
تَتمَشّى في ساحاتِ النار،
رغم أن المطرَ شديدٌ
كما لو أنّ الأرضَ في حالةِ إغماء..
الحمّى تغسلني بحُميّاها،
وأنا ألاحقُ صوتكِ
كما يتتبّعُ المريضُ أسماءَ الأطباء..
أنا بحاجةٍ إلى الصبر والسلوان
الذي أقرأُ عنه في صفحات التعازي.

يتردّدُ علينا المساءُ
بين فينةٍ وأخرى ..
يتفقّدُ وسائدَنا التي شَبِعَت انتظاراً،
ويفحصُ عيوننا
كما يفعل الأطباءُ الجُدُدُ –
ليس بُغيةَ استئصالِ السّهر
الذي لم يكن حميداً ولا خبيثاً..
ونحن نغافلُ المساءاتِ،
نتشيطنُ
لنناثرَ قليلاً من اتّزاننا المُصْطنَع
دون قصدٍ
كما يتناثرُ زيتُ السردين
إن حاولنا ضبطَ أيدينا
حين نفتح العُلبة.

مِنْ هناك

حسن عبدالله الشرفي

مرّ الهوى في صدرها متبرّجاً
ومررت وحدي بالسؤال مضرّجا
لاحت زغاليل النهود ببوحها
في المخمل الشفّاف دائخة الرجا
ظمأت وشمس الصيف بين نسيجه
تمتص ذوب خيوطه متوهّجا
مرّت مرور النسمة العجلى وبي
ظمأ الكؤوس ترى الشراب مثلّجا

○ ○ ○ ○

يا مَنْ هناك، سألت واحدة لمن
هذا الربيع؟ أجابني متحرّجا
صدرٌ من الجنس الأرقّ لطافةً
من رَشْح خابية أضاع المخرجا
فمضى يعاقر نفسه، وبنفسه
شجن العناقيد استحال بنفسجا
مَنْ يسأل العنقود عن أسراره
فيمن يمرّ ملثماً ومتوّجا؟
هي من هنا، من حارة الأقمار في
صنعاء ربّاها النعيم وغنّجا

○ ○ ○ ○

صنعاء في الهمس المنغّم غيمة
بل كرمةٌ تدعوك أن تتفرّجا
فترى الذي ما مثله عينٌ رأت
فيمن »تَعَيْزَب« أو رأته تزوّجا
واليوم، ماذا قلت لي عن حالها
اليوم صار الحال فيها مزعجا
دخلت بروج الشمس في أرجائها
زمناً بأنياب السلاح مدجّجا

○ ○ ○ ○

مرّ الهوى من صدر مَن؟ من بعدما
سلكت قصيدتك الطريقِ الأعوجا
بدأت ضفائرها ترفّ صبابةً
وبدوت فيها عاشقاً متبلّجا
ثم انحرفَت عن المسار فأصبحت
مُهراً بميدان السياسة مُسرجا

○ ○ ○ ○

يا صاحبي، بيني وبينك برزخٌ
فيما ترى وأرى يظلّ مُبرمجا
إن كنت أعشى فابنِ عمّك مُبصرٌ
بضميره، لمَح الفساد الأهوجا
جوع الأزقّة والحواري قال لي
انظر، تجده مع البلاد ممنهجا
انظر، وتنتحب الجهات لأنها
دخلته من باب الذي منه شجى
كنّا زرعنا القمح في أحشائها
وبقدرة »النّكِرَات« أضحى عوسجا
رفعوا بَيَارق جهلهم وتعسكروا
معه لتحمله الزوامل، هودجا
ومضى وما من عاصم من طيشه
حتى تطوفن فوقها وتموّجا
انظر أمامك فارغٌ كوجوده
واسمع، تجده مع الغبار مهرّجا

○ ○ ○ ○

وتريد منّي أن أغنّي للهوى
صبحاً، وأنسى كل أشباح الدُّجى؟
إنّي إذَنْ كالآكلين لحومه
وطناً بباقي الطيبين مسيّجا
أعني الذين أبت لهم أمجادهم
أن يصبحوا في حلقه الدامي شجا
عرِّج عليهم في متاعبهم هنا
وهناك، واجعلهم أمامك منهجا
قل إنهم آتون كالآيات أو
كالمعجزات وكاليقين المرتجى

○ ○ ○ ○

آتون والضحوات ملء وجوههم
تحدو لصنعا أوسها والخزرجا
قل إنهم آتون يجترحونه
وطناً تعاف علاه أن تتخمّجا

صنعاء – مايو2009 م

■ من الديوان المحفوظ «وللرحيل بقية».

21 فبراير
الانتخابات الرئاسية
يوم الثلاثاء 21 فبراير 2012م هو يوم الاقتراع للانتخابات الرئاسية المبكرة
اللجنة العليا للانتخابات والاستفتاء